

التطور الدلالي للفظ " المعجم " في اللغة العامة والمصطلحية

Semantic evolution of the term "Lexicon" in general and terminological language

د. سهيلة ميلاط

المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة - الجزائر

milat.souhila@ensb.dz

تاريخ النشر: 2022/01/31

تاريخ القبول: 2021/12/09

تاريخ الإرسال: 2021/12/06

الملخص:

تحتاج العربية إلى كتابة تاريخ ألفاظها، ومن أهمها لفظ المعجم، وإن بدأ تطوره اللغوي بانتقال الدلالة عن طريق التضاد على رأي القدماء، وسببه عندي علاقة مجازية هي (اعتبار ما سيكون)، فقد دخل عليه عن طريق النقل (المجاز) في الاصطلاح أربعة مفاهيم مختلفة أوردها بترتيبها التاريخي. ولا يخلو كل منها من معنى الإبهام ونقيضه، ومن معنى الجمع، مما يجعل هذا المصطلح الهام أقوى في الاستعمال من أي مرادف له، قديما كان أو حديثا، رغم تعدده الدلالي الذي يصبح في حالته مظهرا من مظاهر الاقتصاد اللغوي أكثر مما هو عامل لبس وإعاقه للتواصل.

الكلمات المفتاحية:

المعجم، المصطلح، المفهوم، التطور الدلالي، التعدد الدلالي.

Abstract:

Arabic needs to write the history of its words, the most important of which is "Lexicon". Its evolution has already begun by transferring its meaning, through the antonymy, according to ancient scientists. For me, this is justified by the metaphorical relation called (Considering what will be), while the notion of the term "Lexicon" includes four different concepts, which I develop in chronological order. Any one of them is based on the meaning of ambiguity, the meaning of its antonym (clarity), as well as the meaning of assembling, which makes this term, so important, stronger in use compared to any of its synonyms, old or new, despite its polysemy which, in this case, becomes an unmistakable manifestation of linguistic economy more than a factor of confusion and an obstacle to communication.

Keywords:

Lexicon; term; concept; semantic evolution; polysemy.

مقدمة:

العربية لغة قديمة، وكيفما كانت بدايتها فقد توفقت في مواصلة تطورها باستخدام مختلف وسائل التوليد بلا استثناء، لكن بدرجات متفاوتة، فترتب على رأسها الاشتقاق والنقل¹، إذ لم تكد تسلم، من الاشتقاق خاصة، أي كلمة عربية بالخصوص، وقلّ أن تحافظ على معناها الحقيقي وحده، بل قام رأي يشكك في أولية أي معنى يبدو في أي مرحلة من تطور العربية معنى حقيقيا، لمجرد الجهل بوجود معنى سابق له.

من أهم الألفاظ القديمة في اللغة العربية لفظ "معجم"، وله في تاريخها تحولات دلالية مثيرة للاهتمام من ثلاث زوايا:

- عُدّ في اللغة العامة من المتضاد، وهي ظاهرة تميز اللغة العربية. وإن كانت نظريا تفضي إلى معارضة طبيعة اللغة التواصلية، إلا أن لها مبرراتها. وهو أحد مواضع التساؤل في هذه الدراسة (ما الذي يبرر وقوع التضاد في المعنى اللغوي الأصلي لكلمة "معجم"؟).

- تبدو معانيه الاصطلاحية متباعدة، لكنها بنظرة مقارنة مرتبطة بعلاقة دلالية تسمح وتفسر وقوع النقل فيها، فما هي العلاقات الدلالية التي سوغت التغير الدلالي الاصطلاحي لكلمة "معجم"؟.

- استقر فترة طويلة على معنى "قاموس"، لكن هذا الأخير لم يستطع إلى يومنا أن يقضي عليه في استعمال المختصين رغم سمة التعدد الدلالي في لفظ "معجم"، فهل يعود ذلك إلى طبيعة المحافظة في اللغة العربية، لا ينتصر فيها اللفظ الأجنبي الجامد على العربي الاشتقاقي؟ أم إلى قوة العلاقة الدلالية بين مفاهيمه المختلفة؟

1- حقيقة التضاد في المعنى الأصلي للفظ "معجم":

المعجم في اللغة من الفعل (أعجم) المشتق من مادة "ع ج م"، وهي تدل في أصل الوضع على الإبهام أي أنها ضد البيان والإفصاح. ومن ذلك قولهم: رجل أعجم، وامرأة عجماء، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما². والمعجم من الحيوان وغيره هو ما لا قدرة له على الكلام³. ورد في الحديث: (اتقوا الله في هذه البهائم المَعْجَمَة؛ فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة)⁴، ولهذا أورد ابن فارس في معاني (ع ج م) السكوت والصمت⁵.

ويذكر ابن جني أن (أعجم) بمعنى (أزال الإبهام والغموض)، وهو لفظة بصيغة اسم المفعول أو بصيغة المصدر الميمي أي "بمنزلة (الإعجام) كما تقول: أدخلته مُدْخَلًا، وأخرجته مُخْرَجًا، أي: إدخالًا وإخراجًا"⁶.

و(أعجمت) على (أفعلت) التي تأتي غالباً لإثبات الفعل، ولكنها قد تأتي للسلب والنفي أيضاً، فتسمى همزة (أفعل) حينئذ (همزة السلب) لأنها تقلب معنى (فعل) إلى ضده، وذلك نحو (أشكيت) زيدا، أي (أزلت عنه ما يشكوه). ومثله قوله عز وجل: (إن الساعة آتية أكاد أخفيها)⁷ تأويله - والله أعلم - عند أهل النظر: أكاد أظهرها. وتلخيص حال هذه اللفظة: أي أكاد أزيل عنها خفاءها، وخفاء كل شيء: غطاؤه، ومن ذلك خفاء القربة للكساء الذي يكون عليها⁸.

لم يفسر القدماء سبب استعمال التضاد في مادة (ع ج م)، بل إن كتبهم في التضاد لا تذكر أي لفظ من هذه المادة، مع ملاحظة أن منهم قلة أنكروا ظاهرة التضاد، منهم ابن درستويه (347هـ) الذي ألف كتاباً في إبطاله⁹، ومنهم ثعلب (291هـ) والجواليقي (540هـ)¹⁰، وأحد شيوخ ابن سيده (485هـ)، إذ جاء في المخصص: «كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده»¹¹. ولا شك أن التضاد، إن صح رأي القائلين به، يحتاج إلى تبرير وقوعه في أي لفظ من ألفاظه. وفيما يخص لفظ (المعجم)، لا بد من الإشارة، في المنطلق، إلى أن كتب الأضداد، على كثرتها، لا تذكره ضمن مجموعة الأمثلة التي تداولها المؤلفون في الأضداد.

وأرى، دون الدخول في جدلية وجود التضاد أو عدم وجوده في اللغة العربية، أنه في مادة (ع ج م) ليس على سبيل الحقيقة بل على سبيل المجاز للعلاقة المعروفة باسم (اعتبار ما سيكون)، أي أن الأصل واحد، وهو الإبهام، وأدت (الكتابة) معنى قريباً منه، هو (الترميز) الذي كان يستعمل على الأكثرين في مرحلة بداية التدوين عند العرب، ولكنه معنى مضاد بالنسبة إلى من يستطيع فك رموز (المكتوب)، فالكتابة مبهمة على الأكثرين مبينة عند من يعرف قراءة رموزها، وهو وضع سيكون عامّاً بين الناس مستقبلاً.

يتوافق هذا التحليل مع ما نقله السيوطي في المزهر: «مفهوما اللفظ المشترك إما أن يتباينا، بأن لا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد كالحيز والطهر، فإنهما مدلولاً للقرء، ولا يجوز اجتماعهما لواحد في زمان واحد أو يتوَصلاً»¹². وإن كانت تكملة نصه لا تتوّع وتفصل العلاقات بين المعنيين المتضادين، وتحصرها في الجزئية والصفة، إذ يقول: «فإما أن يكون أحدهما جزءاً من الآخر كالممكن العام للخاص، أو صفة كالأسود الذي السواد فيمن سمي به»¹².

2- دلالة "المعجم" على المعنى المضاد لأصله (المفهوم الاصطلاحي الأول): حروف المعجم = الحروف المنقوطة

انقلت كلمة الإعجام بصيغة مصدرية أخرى هي المعجم من المعنى اللغوي العام (إزالة العجمة أي الإبهام) إلى المعنى الاصطلاحي الخاص بكتابة الحروف العربية، وذلك حين أعطيت معنى (نقطة الحروف) لأن هذا النقط لم يُستخدم اعتباطاً أو زينة للحرف بل لإزالة اللبس:

- في أواخر الكلمات لتحديد حركات الإعراب: وضع أبو الأسود الدؤلي الكناني بطلب من أمير العراق (زياد بن أبيه) سنة 67هـ علامات في المصاحف منعا لوقوع اللحن فيها، واستخدم لها صبغاً مختلفاً، ورمز لكل حركة بنقطة، للفتحة فوق الحرف، وللكرسة أسفل الحرف، وللضمة على يسار الحرف، ولنون التثنية بنقطتين فوق الحرف أو تحته أو على يساره، وذلك تبعاً لحركة الحرف.

- بين حرفين كحالة العين والغين، أو بين ثلاثة أحرف كحالة الجيم والحاء والحاء، أو بين خمسة كحالة الباء والتاء والثاء والنون والياء في بداية الكلمة أو وسطها. ومن هنا سميت الحروف الهجائية (أ، ب، ت، ...) **بحروف المعجم** أي الحروف التي أزيلت عجمتها بالنقطة فصار نطقها واحدا لا لبس فيه. يقول ابن منظور: « العجمُ النقط بالسواد مثل التاء عليه نقطتان، يقال أعجمت الحرف، والتعجيم مثله، ولا يقال عجمت »¹³.

تمّ هذا الإعجام أيام عبد الملك بن مروان حيث قام نصر بن عاصم الليثي¹⁴ ويحيى بن يعمر العدواني البصري¹⁵ في منتصف القرن الأول الهجري بنقط الأحرف ذات الرسم الواحد امتثالاً لأمر الحجاج بن يوسف الثقفي بحل مشكلة تعدد نطق الحرف الواحد، وسميت هذه العلامات **نقط الإعجام**.

ومعلوم أن الخليل بن أحمد الفراهيدي توصّل بحلول القرن الثاني للهجرة إلى حلّ مشكلة اختلاط النقط في الكتابة بسبب عدم التمييز بين نقطة الشكل ونقطة الحرف؛ فاستبدل نظام النقط الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي برسوم صغيرة أعلى الحرف أو أسفله، وكانت العلامات واوا صغيرة للضمة فوق الحرف، وخطاً صغيراً مائلاً للفتحة أعلى الحرف، ونفس الرمز للكسرة تحت الحرف، وجعل التنوين بتكرار نفس الرمز في موقعه، سواء أكان واوا صغيرة أم خطاً صغيراً مائلاً. وجعل للسكون دائرة صغيرة وللهمزة رأس عين (ء)، وغير رمز الشدة من نصف الدائرة إلى رأس شين مهملة، ووضع رأس العين على الهمزة المنطوقة فيما يُعرف بهمزة القطع لأنها تقطع ما قبلها عما بعدها، ووضع رأس صاد على الألف للدلالة على كلمة (وصل) فيما يعرف بهمزة الوصل لأنها تصل ما بعدها بما قبلها.

وقد أثارت عبارة (حروف المعجم) تساؤلاً حول مسوّغ الإضافة، وكان أولى أن تكون بصيغة التركيب الوصفي (الحروف المعجمة) أي التي استبهمت (في حالة عدم نقطها) أو التي زال إبهامها عن طريق نقطها. ولخص ابن منظور مذهب اللغويين لتبرير ذلك في قوله: « قولنا "حروف المعجم" من باب إضافة المفعول إلى المصدر، كقولهم هذه مطيّة ركوب، أي: من شأنها أن تُركب، وهذا سهم نضال، أي: من شأنه أن يُناضل به، وكذلك "حروف المعجم" أي من شأنها أن تُعجم »¹⁶.

وأرى أن هذا التخريج ليس مقنعا تماما لأن المصدر في المثالين المقدمين بيّنت فيه الإضافة (ركوب، نضال) غاية المضاف وفيما يُستخدم، ولا يستفاد هذا المعنى بوضوح في مثال (حروف المعجم) حيث يجدر أن تكون العلاقة بين (الحروف والمعجم) هي الوصف، لكنني لا أعدم بهذا الرأي أن يكون مذهب اللغويين مستبعدا بل أن يكون قياس أول متكلم بهذه العبارة قياس غير دقيق.

3- دخول دلالة الجمع على لفظ "المعجم" (القلب المكاني) ← (المفهوم الاصطلاحي الثاني):

المعجم = كتاب مرتّب على حروف المعجم

يلفت الانتباه في هذا المفهوم الاصطلاحي الثاني للمعجم دلالة اللفظ على الكتاب الجامع باستخدام مادة تنتج عن طريق الاشتقاق الكبير (القلب المكاني)، وهي (ج م ع).

يعود الفضل في استخدام كلمة المعجم بمعنى الكتاب المرتّب حسب حروف الهجاء في القرن الثالث الهجري إلى رجال الحديث النبوي لا إلى علماء اللغة، فقد كان "الإمام البخاري" (256هـ) أول من أطلق لفظه (معجم) وصفا لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم¹⁷. يقول في عنوان الباب 13 من كتاب المغازي في صحيحه: (باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم)¹⁸. ثم شاع استعمال كلمة (المعجم) في القرن الرابع الهجري، فقد ذكر البغدادي أن أبا يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي (307هـ) وضع (معجم الصحابة)¹⁹، وهو أول كتاب سمّي بالمعجم، وتابعه البغوي (317هـ) في كتابيه (معجم الصحابة) و(المعجم الصغير)²⁰ في أسماء الصحابة، كما ذكر الزركلي:

- لأبي بكر محمد بن الحسن النقاش (351هـ) معجما كبيرا في أسماء القراء وقراءاتهم، واختصره²¹ في كتابين هما: المعجم الأوسط والمعجم الأصغر.

- ولسليمان بن أحمد الطبراني (360هـ) المعجم الصغير، رتب فيه أسماء المشايخ على الحروف²².

- ولإبراهيم بن أحمد البلخي المعروف بالمُستملّي (376هـ) معجما للشيوخ²³،
 - ولأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني (384هـ) معجما للشعراء²⁴.

ويرادف المعجم بهذا المفهوم عند القدماء مصطلح (فهرست)؛ فهذا دوزي يعرف المعجم بأنه: « فهرس بأسماء الشيوخ الذين يدرس عليهم الطالب مرتب على حروف الهجاء مع ترجمة لحياتهم وذكر مؤلفاتهم »²⁵.

ولا نكاد بعد القرن الرابع نحصي المصنفات التي تحمل اسم (المعجم)، فقد وُضعت في الأعلام وفي أغراض شتى ليس من بينها غرض جمع اللغة، حيث لم يُطلق اسم عام على أمهات الكتب التي جمعت ألفاظ العربية، بل سمّي كل معجمي مصنفه باسم خاص بدءا بكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وكالجمهرة لابن دريد، وتهذيب اللغة للأزهري والصاحح للجوهري والمحكم لابن سيده والمقاييس لابن فارس ولسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروز آبادي وتاج العروس للزبيدي...

"وسارت على هذا المنحى كثير من المعاجم الأوربية المشهورة فسمّيت بأسماء مؤلفيها، منها: Harrap's, Robert, Larousse...²⁶"

وعلى هذا النحو ما سمّي بكتب الطبقات أو التراجم كطبقات المعتزلة وطبقات الشافعية وطبقات النحاة وطبقات الأطباء. وكتب علماء الحديث معجمات للأشخاص تضمنت تاريخ الرواة للكشف عن مدى نزاهتهم وصدقهم، وامتد تصنيف المعاجم إلى مجال البلدان والأماكن، وبرز بلا منازع في هذا الموضوع ياقوت الحموي (624هـ) بمؤلفيه: (معجم الأدباء) و(معجم البلدان)، ولأبي عبيد البكري (486هـ) (معجم ما استعجم). وكلها كتب تتدرج اليوم في باب التأليف الموسوعي لا التأليف المعجمي.

4- في صناعة المعاجم:

1.4- دلالة لفظ "المعجم" على جمع الألفاظ مع إبانة معانيها ← (المفهوم الاصطلاحي الثالث):

Dictionnaire = المعجم = كتاب يشرح الكلم

غالبا ما تُطلق كلمة المعجم اليوم على الكتاب الذي يجمع ألفاظ اللغة جلها أو بعضها، مفردة كانت أم مركبة، ويشرح مدلولها ويرتبها ترتيبا ما، هجائيا غالبا، ليساعد الباحث على العثور على اللفظ، وقد تصنف الألفاظ ضمن مجالات دلالية ترتب في كل منها ترتيبا هجائيا. وقد سُمي معجما لأنه يكشف ما وراء الألفاظ من معان يزيل إبهامها شرحها بطريقة ما، فهو شديد الارتباط بالمعنى اللغوي المتضاد، إذ يتضمن الألفاظ المبهمة وتعريفاتها التي ترفع عنها إبهامها.

وليس الترتيب الأبجدي (أبجد هوز...) شائعا في المعاجم العربية، وتكاد بعض معاجم الأدوية تتفرد به²⁷.

ويقسم الدارسون المعجم بمفهومه الثالث إلى صنفين: عام ومختص، واقترح أن يقسم إلى ثلاثة: عام وأعم ومختص.

- العام: هو الذي يسعى إلى الإحاطة بمختلف ألفاظ اللغة، وقد يسمى تغليبا (المعجم اللغوي).

ولا شك أن معاجمنا بهذا المفهوم كانت تمثل إلى حد كبير مجموع الثروة اللفظية للغة العربية الفصيحة في عصر الاحتجاج، وهي التي تعكس وتجمع الرصيد اللغوي لمتكلميها آنذاك. أما ما بعد ذلك، فقد طرأت ألفاظ ومعان جديدة وانقرضت ألفاظ ومعان قديمة جعلت الهوية كبيرة جدا بين هذه المعاجم وواقع استعمال اللغة، ناهيك عن أنه، مهما يكن، لا يمكن لأي معجم أو مجموعة معاجم أن يثبت مختلف المعاني وظلال المعاني التي تتخذها الألفاظ على لسان المتكلمين في كل لحظة وبلا توقف مهما بلغت ضخامته.

وأرى أن أقسم المعجم إلى أربعة أنواع:

* **المعجم اللغوي:** هو معجم أحادي اللغة « يضم كل كلمة في اللغة [على قدر الإمكان] مصحوبة بشرح معناها، وأصلها التاريخي، واشتقاقاتها، وطريقة نطقها، وشواهد تبين مواضع استعمالها »²⁸، ويسمى أيضا: **معجم الألفاظ**.

* **المعجم مزدوج أو ثنائي اللغة:** يجمع مفردات لغة ما، ويقابلها بمفردات لغة أخرى تعادلها في المعنى، ويسمى هذا النوع معاجم الترجمة أو المعاجم مزدوجة أو ثنائية اللغة، ويندرج ضمن معاجم الترجمة المعاجم متعددة اللغات، وأكثرها إلكتروني.

ويُعدّ المعجم ثنائي اللغة أقدم أنواع المعاجم على الإطلاق، فقد كشفت تنقيبات أثرية في مدينة إبلا السورية عن معجم يعود إلى حوالي سنة 2300 ق م، ويتألف من رُقْم طينية كُتِب فيها بالخط المسماري مسردٌ كلمات باللغة السومرية مع مقابلاتها باللغة الأكديّة.

* **معجم اللهجات:** يجمع مفردات لهجة من لهجات لغة معينة وفق الترتيب الهجائي وحده، أو وفق الترتيب الموضوعي الهجائي.

* **المعجم الموضوعي أو المعنوي:** يرتّب الألفاظ حسب موضوعاتها أو معانيها، ويسمى أيضا: معجم المعاني، ومنه: **الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن الهمداني (327هـ)**، **وفقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي (429هـ)**.

- **الأعم:** هو معجم يسرد حياة الكلمات، إذ يؤرّخ لظهور كل لفظ في اللغة، فيبحث عن أصله شكلا ومعنى، ويتتبع ما طرأ عليه من تطوّر عبر العصور بترتيب دلالاته وفق تواريخ حدوثها ابتداء من معناه الأصلي وما طرأ على نطقه من تغير، مع التمثيل له في مختلف تطورات الدلالة بعدد من الشواهد، ويحدد أصل الكلمة المقترضة ويبين ما إذا اقترضت من لغة أخرى اقترضا مباشرا أو عبر لغات وسيطة؛ ولذلك كله يُعرف بالمعجم التاريخي، وقد يسمى المعجم التطوري.

- **المختص أو الخاص:** هو الذي يضم نوعا من ألفاظ اللغة أو يختص بموضوعات بعينها، وهو نوعان:

* **لغوي:** لا يهتم بمفردات اللغة كلها دفعة واحدة، بل يرصد المفردات المرتبطة بـ:

- موضوع معين كالحيوان أو اللباس أو الأطعمة أو غير ذلك؛
- أو نوع معين من المفردات كغريب القرآن أو المترادفات أو المشترك اللفظي أو الأفعال أو المتعدي بحرف أو ألفاظ الحضارة أو المعرب كالمعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم للجواليقي (540هـ). ومن أبرز أمثلة هذا النوع كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (502هـ)، إذ يُعتبر أشمل وأجود معجم تخصص في الألفاظ القرآنية، ومن أمثله أيضا: قاموس المترادفات والمتجانسات لرفائيل نخلة، والأفعال لابن القوطية (367هـ)؛

- أو مرحلة من مراحل التعليم فيما يُعرف **بالمعجم المدرسي**.

- أو أديب معين، فيجمع الألفاظ التي استعملها في نتاجه الشعري أو النثري.

ويندرج ضمن هذا النوع **المعاجم المصورة**، وهي عبارة عن مجموعة من اللوحات التي تتناول موضوعا معينًا من الموضوعات الحسية، كموضوع السيارة، وموضوع البيت، وموضوع جسم الإنسان، وموضوع المدرسة... حيث يوضع للأجزاء المكونة لكل لوحة رقم، وتوضع الألفاظ الدالة على كل جزء في الصفحة المقابلة للوحة مقابل كل رقم بالترتيب، ويُسرد في آخر المعجم مجموع الألفاظ التي تضمنتها في ترتيب هجائي مع وضعه إزاء كل رقم تسلسلي رقم اللوحة ورقم جزئها.

* **ومصطلحي:** يسمّى أيضا: **معجم المصطلحات** أو **معجم التخصص** أو **المعجم المتخصص** أو **المعجم المختص** أو **المعجم الخاص**، وهو متنوع بحسب المجال المعرفي لهذه المصطلحات، وقد يكون هذا المجال علميا أو فنيا أو مهنيا أو غير ذلك. كما قد يكون المعجم المصطلحي أحادي اللغة أو ثنائيا أو متعدد اللغات، كمختلف المعاجم المصطلحية التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

ويقتصر المعجم المصطلحي على جمع المصطلحات المستخدمة في تخصص ما علميا (شرعيا أو لغويا أو ماديا) كان أم فنيا أم مهنيا أم تقنيا أم غير ذلك، واسعا كان أم ضيقا، أي في أحد فروع ذلك التخصص، فقد يختص معجم بمصطلحات اللسانيات مثلما قد يختص بمصطلحات الصوتيات أو النحو أو البلاغة وهكذا. ولا شك أن المعجم المصطلحي أحدث من المعجمين العام أو اللغوي المختص.

يمكننا تعريفه بأنه: « كتاب يضم مصطلحات حقل معرفي معين ويعرف مفوماتها ويرتبها ترتيبا ألفبائيا أو مفوميا »²⁹.

ولا شك أن التصنيف المفهومي، إن اعتمد، فإنه لا يستغني تسهيلا للبحث عن الترتيب الألفبائي في إطار مختلف الحقول المفهومية.

ويعدّ حلام الجبالي المعجم العربي المختص أربعة أضرب هي: الألفاظ اللغوية والمصطلحات والأعلام والآثار³⁰، وقد أخرجت الأعلام والآثار في تقسيم المعجم المختص باعتبارهما من مواضيع المعاجم الموسوعية والموسوعات.

2.4- دلالة "المعجم" على جمع الألفاظ دون إبانة معانيها ← (المفهوم الاصطلاحي الثالث (Lexique):

المعجم بهذا المفهوم قاموس مزدوج أو متعدد اللغات يقتصر على مقابلة الوحدات المعجمية للغتين أو اللغات المعنية³¹. فيعرف بأنه: « مؤلف يضم لائحة من مفردات لغتين فأكثر، مرتبة عامة حسب الترتيب الألفبائي، وتكون غير مصحوبة بالتعريف »³².

من أمثلته (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، عربي إنكليزي وإنكليزي عربي) الذي وضعه حمد حسن باكلاً ونخبة من اللغويين العرب سنة 1983، والمعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنكليزي - فرنسي - عربي) في طبعته الأولى (1989)، ومعجم المصطلحات اللسانية (إنكليزي - فرنسي - عربي) لعبد القادر الفاسي الفهري (2007).

يتصل هذا المفهوم أيضا بالمعنى اللغوي المتضاد للكلمة، فالألفاظ مبهمة ويزول ذلك الإبهام بإرفاقها بمقابلاتها الأجنبية.

5- في درس اللساني العام ← (المفهوم الاصطلاحي الرابع (Lexique):

المعجم = الملكة اللفظية

لمصطلح المعجم عند اللسانيين المحدثين مفهوم مجرد يحيل إلى الوحدات البنوية القابلة للانفصال عن غيرها والتي تشكل أهم مكونات اللغة من حيث يمكنها أن تحقق الحد الأدنى من وظيفة التواصل دون الحاجة إلى قواعد التركيب النحوي.

وعلى هذا، يعرفه المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات كالتالي: « في علم اللغة العام، مخزون مفرداتي مودع في ذهن المتكلمين داخل عشيرة ما. ويقابل المعجم في هذا التصور ما يدعى بالمفردات [Vocabulaire] مثلما تقابل اللغة الكلام أو القدرة على الإنجاز »³².

ويعرفه جون دي بوا بأنه: « مجموع الوحدات التي تشكل لغة جماعة ما، أو نشاط بشري ما، أو متكلم ما، إلخ »³³. وبذلك يقابل المعجم المِلْفِظَة (Vocabulaire) باعتبارها نظيره المادي الذي يختص بالخطاب فيما يختص المعجم باللغة، بمعنى أن مِلْفِظَة نص ما أو ملفوظ ما (Enoncé) ليست إلا عينة من معجم المتكلم أو من معجم جماعة لغوية ما. فلا يمكن للملفوظ أن يحدد المعجم، وأقصى ما قد يوفره هو إشارات عن المعجم، أي أنه لا يمكن استخلاص الملكة المعجمية من الأداء.

ذلك أن الانتقال من المِلْفِظَة إلى المعجم يتطلب بوجه خاص، أن يمتلك المتكلم-المستمع مِلْفِظَة سالبة لا مِلْفِظَة موجبة فقط (تلك المِلْفِظَة التي يستعملها في كلامه حقا)، فالواقع أن كل متكلم يمتلك ملكة معجمية مزدوجة، أي أنه يفهم كثيرا من الوحدات المعجمية، وبالتالي تنتمي إلى ملكته، رغم أنه لم يستعملها يوما، فهي كلمات يخزنها عادة ويفك رموزها دون أن يكون لديه أدنى احتمال لاستعمالها.

وغالبا ما يُستعمل مصطلح المعجم، في مفهومه الضيق، للإشارة إلى الوحدات الدالة غير النحوية، إلا أن النحو التوليدي يعتبره أحد عناصر المكون الأساس للنحو، فهو تابع له.

وأبرز استجابة لفظ المعجم للدلالة على المفهوم الذهني المجرد بكونه يتناسب مع معناه اللغوي الأصلي (الإبهام والغموض)، بالإضافة إلى كونه صيغة ذهنية مجردة للمعجم بمعنى القاموس، والحقيقة أنه بهذا الاعتبار الأخير ترجمة حرفية موفقة للفظ (lexique) الذي يؤدي هو الآخر معنى ماديا وكذا هذا المعنى المجرد. ومع ذلك، قد تفرض علينا الدقة المصطلحية تخصيص "المعجم" هنا بصفة "الذهني" منعا للبس.

فخلاصة القول أن المعجم متعدد الدلالة لفظا ومصطلحا، ويعول كثيرا على السياق اللغوي أو المقامي لتبيين المفهوم المقصود منه. ومع ذلك التعدد، فهو لا يفارق سمة الغموض والإبهام التي يحملها في مدلوله اللغوي الأصلي، وإلى جانبها سمة الجمع. هذا ما يفسر شيوعه في مختلف معانيه، لا يغلبه في الاستعمال أي مرادفات طارئة، كالفهرست والقاموس الذي أقر مجمع اللغة العربية استخدامه بمعنى الكتاب الذي يجمع ويشرح ألفاظ اللغة، فيرادف المعجم اللغوي، وهذا بعد سجال طويل بين المختصين، فليست مسألة بقائه واستعماله مجرد نزعة إلى المحافظة على تراث مصطلحي بقدر ما هي قضية دلالية يدركها المدقق في توليد لفظ المعجم لمفاهيمه الاصطلاحية الهامة بطريقة النقل وحدها، ليتحقق بذلك أحد أمثلة الاقتصاد على مستوى اللغة العربية العامة والمصطلحية، وإن كان الأولى في هذه الأخيرة، تجنب إعاقة التواصل وتخصيص كل مفهوم بمصطلح، باستخدام آلية التركيب، ويُفترض أن ينطبق هذا الإجراء على اللغات الأجنبية أيضا.

الهوامش:

- ¹ أو المجاز، وأفضل (النقل) لقوة دلالاته على تغير المعنى بانتقاله إلى معنى جديد ومختلف، وتجنباً لتداخل مصطلحين، باستعارة مصطلح (المجاز) من علم البلاغة.
- ² ابن جني: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هندراوي، 1993، ط2، دمشق، دار القلم، ص38.
- ³ يؤرخ لهذا الاستعمال معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، بسنة (11هـ/632 م):
<https://dohadictionary.org/dictionary/%D9%85%D8%B9%D8%AC%D9%85> تاريخ الزيارة: 2021/09/24.
- ⁴ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، 1424هـ، الرياض، مكتبة المعارف، (رقم الحديث: 2548).
- ⁵ ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: محمد عبد السلام هارون، 1979، دمشق، دار الفكر، ج4، ص239.
- ⁶ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص35. وذكره: ابن منظور: لسان العرب، 2008، ط1، بيروت، دار الفكر، ص268 (4500).
- ⁷ طه: 15.
- ⁸ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص36.
- ⁹ ينظر: السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، 1986، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، ج1، ص396.
- ¹⁰ ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، 1998، ط5، القاهرة، عالم الكتب، ص194.
- ¹¹ ابن سيده: المخصص، (دت)، بيروت، دار الكتب العلمية، السفر 13، ص259.
- ¹² السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص387.
- ¹³ ابن منظور: لسان العرب، ص269 (4501).
- ¹⁴ من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي، كان فقيهاً فصيحاً عالماً بالعربية ومن النحاة البارزين في زمانه. توفي سنة 89هـ. من أشهر تلاميذه عبد الله الحضرمي.
- ¹⁵ فقيه، علامة، مقري، كان قاضي مرو، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي.
- ¹⁶ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص268 (4500).
- ¹⁷ ينظر: أحمد عبد الغفور عطار: الصحاح ومدارس المعجمات العربية، القاهرة، 1956، ص53.
- ¹⁸ البخاري: صحيح البخاري، 2002، ط1، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ص986.

- ¹⁹ ينظر: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، 1955، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مج1، ص52.
- ²⁰ ينظر: نفسه، مج1، ص444.
- ²¹ ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمعرّبين والمستشرقين، 2002، ط15، بيروت، دار العلم للملايين ج6، ص81.
- ²² ينظر: نفسه، ج3، ص121.
- ²³ ينظر: نفسه، ج1، ص28.
- ²⁴ ينظر: نفسه، ج6، ص330.
- ²⁵ رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعيمي، مرا: جمال الخياط، 1991، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ج7، ص150.
- ²⁶ ينظر: عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، 1994، ط1، بيروت، لبنان ناشرون، ص10.
- ²⁷ ينظر: إبراهيم بن مراد: المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، 1993، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص114.
- ²⁸ أحمد عبد الغفور عطار: الصحاح ومدارس المعجمات العربية، ص38.
- ²⁹ هذا التعريف قدمه (محمد خطابي، المصطلح والمفهوم والمعجم المختص، 1994، ط1، بيروت، لبنان ناشرون، ص20) للمعجم المختص، لكنني أثبتته هنا للمعجم المصطلحي وحده باعتبار المعجم المختص على رأي حلمي خليل أعم من ذلك (ينظر: حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، 1997، ط1، بيروت، دار النهضة، ص121).
- ³⁰ حلام الجليلي: المعجم العربي المختص، 1996، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص55.
- ³¹ Jean Dubois et autres: **Dictionnaire de linguistique**, 1973, Paris, Librairie Larousse, p297.
- ³² مكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي - فرنسي - عربي)، 2002، ط2، الدار البيضاء، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص86.
- ³³ Jean Dubois et autres, **Dictionnaire de linguistique**, p297.

المراجع:

- 1- إبراهيم بن مراد: المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، 1993، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- 2- ابن جني: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هندراوي، 1993، ط2، دمشق، دار القلم.
- 3- ابن سيده: المخصص، (دت)، بيروت، دار الكتب العلمية، السفر 13.
- 4- ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: محمد عبد السلام هارون، 1979، دمشق، دار الفكر، ج4.
- 5- ابن منظور: لسان العرب، 2008، ط1، بيروت، دار الفكر.
- 6- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، 1424هـ، الرياض، مكتبة المعارف.
- 7- أحمد عبد الغفور عطار: الصحاح ومدارس المعجمات العربية، 1956، القاهرة، دار الكتاب العربي.
- 8- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، 1998، ط5، القاهرة، عالم الكتب.
- 9- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، 1955، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مج1.
- 10- البخاري: صحيح البخاري، 2002، ط1، دمشق - بيروت، دار ابن كثير.
- 11- السيوطي: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخران، 1987، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، ج1.
- 12- حلام الجيلالي: المعجم العربي المختص، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- 13- حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، 1997، ط1، بيروت، دار النهضة.
- 14- خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمعرّبين والمستشرقين، 2002، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، ج6.

- 15- رينهارت دوزي: **تكملة المعاجم العربية**، تر: محمد سليم النعيمي، مرا: جمال الخياط، 1991، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ج7.
- 16- عدنان الخطيب: **المعجم العربي بين الماضي والحاضر**، 1994، ط1، بيروت، لبنان ناشرون.
- 17- محمد خطابي: **المصطلح والمفهوم والمعجم المختص**، 1994، ط1، بيروت، لبنان ناشرون.
- 18- **معجم الدوحة التاريخي للغة العربية**:
<https://dohadictionary.org/dictionary/%D9%85%D8%B9%D8%AC%D9%85>
- 19- مكتب تنسيق التعريب: **المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي - فرنسي - عربي)**، 2002، ط2، الدار البيضاء، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- 20- Jean Dubois et autres, **Dictionnaire de linguistique**, Librairie Larousse, Paris, 1973.